حوار الناقد الأدبي الدكتور إبراهيم عوض لشبكة الألوكة

حول رواية "عندما يطغى النساء" للأستاذ عبدالحميد ضحا

إعـداد: أ. رضا جمال

الـدكتور إبـراهيم عـوض هـو أسـتاذ النَّقْـد الأدبي بجامعـة عين شـمس، وحاصـل على الدكتوراه من جامعة أوكسفورد عام 1982م، ولـه عـددٌ من المؤلَّفـات في الدِّراسـات الإسلاميَّة والدِّراسات النقديَّة.

كان لنا معه هـذا الحـوارُ عن رِواية "عنـدما يَطغى النسـاء"، تلـك الرِّوايـة الجديـدة في بابها، التي هي باكورةُ الأعمال الرِّوائية للشاعر والكاتِب الإسلامي المهندس عبدالحميد ضحا، عرضْنا على سيادته بعضَ الأسئلة عن الرِّواية فأجاب عنها.

وها هو ذا نصُّ الحوار:

- **هل تعدُّ رواية "عندما يطغى النساء" رِوايةً فكريةً؟ وهل هـذا النَّوْع مِن الرِّوايـات موجـود في الواقع؟ وهـل أجـاد الكـاتبُ في توظيـف الأحْـداث وتسلسلها بطريقةٍ طبيعيَّة لخِدمة فِكرتِه؟**

- فعلاً هناك رِوايات فكريَّة، بمعنى أنَّ الكـاتب يُقبِـل على تأليفهـا وفي ذهنـه أن يـروِّج لفكرةٍ مـا، أو يـدافع عنها على الأقـل، ومِن الأفكـار الـتي كـانتْ تشـغل المؤلِّفَ فكتب روايته لإثباتها: التأكيد على أنَّ مؤتمرات المرأة الـتي تنظِّمهـا الأمم المتحـدة هي بدعـةٌ ضارَّة أشدَّ الضرر بالمجتمعات الإسلامية، التي يُراد لها أن تتخلَّى عن أخلاقهـا وعاداتهـا وتقاليدها وتشريعاتها المستمَدَّة مِن دِين ربِّها وتعتـاض عن ذلـك بمقـرَّرات عجيبـة تتغيَّا الوقيعة بيْن الرَّجل والمرأة، وتُخرِج المرأة عن فِطرتها السليمة، وتقلب كلَّ شـيء في حياتهـا وفي حيـاة الأسـرة رأسًـا على عقِب، وقـد تَتبَّعتِ الرِّوايـة هـذا الموضـوعَ لا في صورة مجرَّدة بارِدة، بل في شكلِ أحداث وحوارات وأوصـاف، ومـا إلى ذلـك ممَّا يميِّز الفن الروائي عن المقالات والدِّراسات مثلاً.

وكل ما يُراد مِن المؤلِّف في هذه الحالة هو أن يـترُك شخصـيات رِوايتـه تتصـرَّف على نحو طبيعي مقنِع، ويدَع وقائعها تتوالى بأسلوب منطقي يتبع قاعدةَ العِلَّة والمعلول، ولا يلجـأ للمصـادفات إلاَّ على سـبيلِ النُّدرة والاسـتحياء وبعـد التمهيـد لهـا، بحيث تبـدو مصادفاتٍ عفويةً ممَّا يقَع في الحياة الواقعية فعلاً فيقبلها العقل.

وقدْ أفلت زِمام الأمر مِن يد الكاتِب في بعض الأحيان، وبدَا ذلك حتى أوَّل الرِّواية، وهو مـا أوْقـع في رُوعِي أنَّ الروايـة ذات مسـتوى ضـعيف، إلاَّ أن ابنـتي الصُّغْرى صـادفتِ

الرواية أمامها في البيت فقرأتْها وأتمَّتْها قبلي بوقتٍ طويل رغمَ أنَّها كانت تستعدُّ أيَّامها للامتحانـات، ثم أتتْ إليَّ قائلـة: إنَّهـا روايـةٌ جميلـة رغمَ ما فيهـا مِن افتعـال في بعض المواضع، فأمَّنْتُ على ملاحظتها الأخـيرة، واتخـذتُ مِن ملاحظتهـا الأولى تكـأةً للمضيِّ في قراءة الرِّواية إلى أن أتممتُها أنا أيضًا، وإن لم أقرأها على التـوالي ولا كنتُ مفرِّغًـا نفسي لها، بل اكتفيتُ بقراءة ما تيسَّر منها حسب ظروفي حتى أنهيتُهـا، مسـتمتعًا بهـا رغمَ ما فيها مِن عيوب أتفهَّمها بوصف هذا العمل أوَّل تجارب الكـاتب في ميـدان الفنِّ الروائي؛ إذ هو شاعرٌ في المقام الأول.

ويُؤخَذ على الرِّواية أيضا أنها تصوِّر الأشخاص المتدينين تصويرًا نقيًّا وكـأنَّهم يخلُـون من العيوب، وكل تصرفاتهم ومواقِفهم وأفكارهم وآرائهم تتَّسم بالحِكمة ولا تعـرِف الخلَـل، وهو ما لا تعرفه الحياة؛ إذ البشَرُ هم البشَر، وليسوا ملائكـةً مـبرَّئين من المعـايب، بـل فيهم وفيهم، ولا يشذُّ المسلم ولا حتى المسلم المتـدين التَّقي عن هـذه القاعـدة، لكنَّه يتميَّز بأنَّ محاسنَه أكثر وأدوم، وأخطاءه أقلُّ عددًا، وأخف فداحة، وأقصر عمـرًا؛ إذ هـو رجَّاع إلى الحق متى استبان له، أو المفترَض والمتوقَّع أنه كذلك.

كذلك لو أنَّ الرِّواية، بدلاً من أن تجعل هِجِّيراها الدفاع عن النقاب وتعدُّد الزوجات فقط تقريبًا، قد اختارتِ الشخصيات المتدينة شخصياتٍ مقبلـةً على العِلم وتحصـيل الثقافـة، وتتَّصف بالجدِّ في العمل والرغبـة في الإبـداع والتميُّز الخُلُقي الأصـيل، إذًا لكـانت أدْنَى إلى مـا نريـده وننتظـره من الأدَب الإسـلامي الـذي يعكس قِيَم ديننـا العبقـري الفريـد، ويغري الناسَ بالتمسك بها، طبعًا دون وعْظ أو تشنُّج، بل بأسلوب فني مقنِع.

تُرَى هل هذا راجـع إلى أنَّ المسـلمين في المرحلـة الحضـاريَّة الحاليـة يعـانون جميعًـا: متديِّنوهم وغير متديِّنيهم مِن اللامبـالاة بـالقِيم الحضـارية الرفيعـة، ولا يتميَّز هـؤلاء عن أولئك غالبًا إلاَّ في النواحي الشكليَّة مما لا يقدم كثـيرًا أو يـؤخِّر، وتكـون ثمرتـه هي مـا نراه حولنا في كلِّ مكان من عالَمنا الإسلامي مِن تخلُّف في كثيرٍ مِن الميـادين رغم أنَّ الدين الذي ننتمي إليه ونتفاخَر به، تفاخرًا لفظيًّا - في العادَة للأسف - هو دينُ الحضارة والتقدُّم، لا يشـبهه في ذلـك دِينٌ آخَـرُ في العـالَم؟ هـذا، ويمكن أن نـذكر مِن القصـص الفِكـري "حي بن يقظـان" لابن طفيـل الفيلسـوف الأندلسـي المشـهور، و"رحلـة ابن فطومة" لأديبنا العالمي نجيب محفوظ.

- **هـل تُحسَـب هـذه الرِّوايـة من الأدَب السـاخِر، أو تجْمَـع بين الكوميـديا والتراجيديا؟ أم هل هي نوعٌ آخَر؟**

- في الرِّواية تصويرٌ سـاخر لبعض الشخصـيَّات والمواقـف والتصـرفات، وهي سـخريةٌ موفَّقة في كثيرٍ مِن الأحيان، وتنجح في رسم البسمة هادئةً على شفاهنا - نحن القرَّاء، ومع أنَّ السخريةَ في بعض مواضع الرواية سخريةٌ موجهة؛ أي: لا تأتي أحيانًـا على نحـو عَفْوِيٍّ ولا تُشَاكِل ما يقع حولنـا في الحيـاة اليوميَّة، أراني أجـدُها سـخريةً محببـة، وقـد يكـون السـبب في ذلـك حُسـن نيَّة المؤلِّف، وقـد يكـون سـببه أيضًـا أنَّ الشخصـيات المقصودة بالسخرية يستحقُّون أن يَخِـزهم المؤلـف وَخْـزًا؛ لكـثرة مـا عانينـا منهم في حياتنا السياسيَّة قبل الثورة مِن خروجهم على الوطنيَّة والخُلُق الكـريم، وشـذوذهم عن

الفِطرة السويَّة، وتمرُّدهم على القِيَم الإسلامية الرفيعة، وتيقُّننا أنَّهم إنما تُحرِّكهم أيدٍ غريبة، وغايات مريبة.

كما لا ينبغي أن ننسَى أنَّ ثمة نوعًا مِن الأفلام مثلاً نتقبَّل من أبطالها سلوكَهم الفكاهي رغمَ ابتعاده بوضوح عمَّا يقَع في الحياة، ونضحك منه ملءَ أشداقنا رغمَ ذلك، كما في أفلام إسماعيل ياسين وعبدالفتاح القصري، إنَّها - رغم سذاجتها إلى حدٍّ ما - سذاجة مضحِكة، المهم ألاَّ يكون في الأمر افتعالٌ أو تنطُّع.

ويُضاف إلى هذا أنَّ تلك الرواية - كما قلنا - هي أوَّل تجرِبة للمؤلِّف في هذا الميدان، فالقارئ لا يؤاخِذه مثلما يؤاخِذ غيرَه من المؤلفين الذين استحصدَتْ تجارِبهم الأدبية، بل يتسامح معه إلى حدٍّ ما.

- **هل ترى في الرواية لونا من التجديد؟**

- هذه أوَّل رِواية في حدودِ عِلمي تتناول مجلسَ الشعب والمؤتمرات النسائيَّة الدوليَّة المناهضة للإسلام بالسخريَّة والفضح والتعرية، ولا شكَّ أنَّ من الجرأة التي تُذْكَر فتُشْكَر للكاتب إقدامَه على معالجة مِثل هذا الموضوع قبل ثورة يناير 2011م؛ إذ كانت الدولة تترصَّد أيَّ قلم يعترِض على تلك التوجهات المريبة الدنسة، لقد كانت الدولة ماضيةً في هذه الرقاعة التي تحادُّ الله ورسوله، ويباركها كبارُ الدولة مِن نِساء ورجال، وقد قصدتُ تقديم النساء هنا على الرِّجال قصدًا لأنَّ شكيمتهنَّ كانتْ هي الأقوى، تعضدهنَّ وتحفزهنَّ زوجةُ الرئيس المخلوع، التي كنت أُردِّد دائمًا أنها وزوجها وابنها الوريث المنتظَر لا علاقةَ لهم بالإسلام، بل كان بعضُ الناس يتساءلون في دهشةٍ وغضب ومرارة: هل ارتدُّوا سرًّا عن دِين التوحيد؟! إذ كانتْ كل أفعالهم تشي بذلك.

إذًا يُحسَب للمؤلِّف إقدامُه بل تهوُّره - إذا صحَّ اللفظ - على كتابة هذه الرِّواية؛ ذلك أنَّ الشيوعيِّين ومَن دار في مدارهم كانوا يحتكرون تقريبًا الساحة القصصيَّة، بل لقد قرأتُ لأحد المنتسبين إلى علماء الدِّين مَن يؤثِّم كتابةَ القصَّة؛ على أساس أنَّ القصَّاص يتحدَّث عن أشخاص ليس لهم في الواقِع وجود (الواقع بالمعنى الحرفي لا بالمعنى الاصطلاحي)، وينسُب إليهم أشياء لم تحدُث (يا داهية دُقِّي!)، فهو إذًا يكذب، والكذب حرام، ومِن ذلك أنني، في التسعينات، سألتُ أحد طلاَّبي عن السبب في أنَّه لا يحضُر محاضراتي الخاصة بفنِّ القصة، فجبهني بأنَّ هذه المحاضرات لا تُفيد من الناحية الدينيَّة، فلا قيمةَ لها مِن ثَمَّ، أو قال كلامًا يدور حولَ هذا المعنى.

فإذا وجدْنا في وسط هذا الالتواء في الفَهْم مَن يكتب مثل تلك القصَّة، ويفضح بها الانحرافاتِ العقيديَّة والسياسيَّة السائدة في المؤسَّسات الحكوميَّة، ويتعرَّض لأقوى نِساء الدولة ورجالها ممَّن يخونون شعوبهم، ويلتحقون بركبِ أعدائها وينفذون مؤامراتهم، فلا بدَّ أن نرحِّب بها مهما كان فيها مِن عيوب، والحمد لله أنَّ فيها - بجوار هذه العيوب - شيئًا غير قليل مِن الحسنات.

وفى الرِّواية تستطيع بكلِّ سهولة أن تعرِف أنَّ فلانة هذه هي سوزان ثابِت، التي قرأنا أنها كانتْ هي وأخوها منير بشرفان على أندية الروتاري في أرض "المحروسة"، بل "الموكوسة" بها وبزوجها وأهلها، لعنةُ الله على كلِّ خائنٍ عميل دنس، وأنَّ علانة تلك هي دكتورتنا المشهورة المصابة تقريبًا بكلِّ ضروبِ الهلاوس البصريَّة والسمعيَّة، واللمسيَّة والشميَّة، والتي ما إنْ تراها بشعرها الهائش كشعورِ الجنيَّات - حسبما علَّقتْ بعض الفتيات الصغيرات حين رأينها ذات مرَّةً في التلفاز - وقبل أن تتكلَّم فتتقايأ ما في ذِهنها العفن المنتن مِن أفكار، حتى تستغربَ لماذا تركوها مطلقةَ السراح ولم يقبضوا عليها، ويلبسوها قميصَ الكتاف ويضعوها في مستشفى العباسية أو الخانقاه، والتي تُنادي بأن يكون الإله امرأةً وأن يُنْسَب الأولاد إلى أمِّهم لا إلى أبيهم، ولعلَّها أيضًا تطالب أن يكون للمرأة ذَكَر لا فرْج! وأنَّ هذا الرجل هو الشيخ الأزعر ذو النظرات النائمة التي تشعَّان رغم هذا التناوم خبثًا وشرَهًا للفلوس مهما حَقُرَتْ وقَلَّتْ وكأنه حلاَّق صحَّة، والذي يفوت في الحديد، والجاهز لأيِّ فتوى في معاداة الله ودِينه دون أن يطرفَ له جِفن أو يختلج له ضمير، إنْ كان له ضمير، والذي كان الناس يتساءلون كلَّما أتتْ سيرته: لِمَ كل هذا الهوان والخنوع والنِّفاق عند الشيخ الأزْعر؟! وأية زلة يمسكونه منها فينصاع لأيَّة إشارة مِن جانب الأدناس الأرجاس بغير أن يضَع اللهَ في حسبانه، مجاهرًا بأنَّه ليس سوى موظَّف لدى الدولة ينفِّذ ما تريد منه - خيْبة الله عليه، أو أنَّ ذلك الرجل هو رئيس مجلس الشعب الذي لم يُخطِئ مرة فيُضْبَط بقول كلمة حق أو الدِّفاع عن مشروع يُفيد البلد، وأنَّ فلانًا هذا هو الوزير العلاَّني أو الترتاني - لعنهم الله جميعًا جزاء ما أوردوا مصرَ موارد التلَف، وفعلوا بشعبها الأفاعيل، وإن لم يَعْنِ هذا أبدًا أنني أبرِّئ الشعب، فهو المتَّهم رقم واحد بخنوعه وسكاته وبلادته، وهتافه لسارقيه وجلاديه وقاتليه وبائعيه في سوق النخاسة السياسيَّة الدوليَّة لأعدائه يهتكون عِرْضه الجسدي والمعنوي دون شَفقة أو رحمة، لا شكَّ أنَّها جرأةٌ مِن المؤلِّف - كما سبَق أن قلت.

- **الرِّواية مكتوبةٌ بالفصحى، وجُلُّ الرِّوايات الآن تتخلَّلها العامية أو هي عاميَّة خالِصة، فهل لُغة الرواية الفُصحى معقَّدة أو سهلة؟**

- ليس عندي إحصاءٌ بنسبة الرِّوايات التي تُكْتَب بالفُصحى، وتلك التي تُكْتَب بالعامية، ولكن على أيَّة حال لا بدَّ أن نعرِف أنَّ هناك مَن يترصَّد للفصحى ويعمل على خنقها وقتْلها، بالتوازي والتزامُن مع العمل على تفتيتِ الدول العربيَّة أو إعادة احتلالها، على أساس أنَّ الفُصحى هي أحدُ مقوِّماتنا الإسلامية، ومِن ثَم كان لا بدَّ من القضاء عليها واستبدال العاميات بها؛ حتى تكونَ القطيعة بيْن الدول العربيَّة لا سياسيَّة فقط بل ثقافيَّة أيضًا، وحتى يقوم بيننا وبين القرآن المجيد حاجزٌ لُغوي يمنعنا مِن فهمه وتذوُّقه والتفاعل معه.

وهذا المخطَّط موجودٌ منذ أواخِر القرن التاسع عشرَ على الأقل حين شرَع بعضُ عتاة المجرمين الأوربيِّين الذين يتبوؤون مناصبَ عُليا في مصر تحتَ مظلة الاحتلال الإنجليزي في ذلك الوقت، يضعون الدِّراسات أو يُلقون المحاضرات في التغزُّل بمحاسن العامية المصريَّة والزعم بأنَّ الانتقال إلى التأليف بها ونبْذ الفصحى سوف ينقُلنا تلقائيًّا إلى مصافِّ الدول المتقدِّمة، فيَظهر بيننا العلماء المتفوِّقون والمخترعون المبدِعون، وظهر بعد ذلك مَن ينادي بوقاحةٍ بهجْر الحروف العربية إلى الحروف اللاتينيَّة، ثم جاء لويس عوض الحاقِد على القرآن ولُغته رغم تظاهره باللادينية فألَّف - أيَّام كان يدرس للحُصول على الدكتورية من بريطانيا في ثلاثينات القرن البائد - كتابًا

سخيفًا في تسجيل وقائع حياتهٍ هناك كأنَّ لحياة أمثاله قيمـةً، فهـو يطرحهـا علينـا لعلَّنـا نفيد منها! وقد كتب هذه المذكِّرات بالعامية، وهى عامية مَقيتـة متحذلِقـة تجعلك تكـره العاميات كلَّها مِن أجل خاطره وخاطرها وتلعن اليـومَ الـذي ظهـرتْ فيه العاميـاتُ في عالمنا هذا المنكـودِ بوجـودِ لـويسٍ عـوضٍ وأشـباهه، وإن لم ينشـرْها إلا في السـتينات عندَما كان الشيوعيُّون ومَنْ لَفَّ لِفَّهم يتوَلَّوْن رِئاسة دُور النَّشْر الحكوميَّة فنشـروها لـه في واحدةٍ من تلك الدُّور، وهو في هذا المجال، مجال كراهية اللغة العربية لكونهـا لغـةَ القرآن ولغة التوحيد، تلميذٌ مخلِص لسلامة موسـى، الـذي لم يكـفَّ يومًـا عن التحـرُّش بالإسلام وتاريخه ورُموزه ولُغته، واتهامها بأنها لُغةٌ رجعيَّة متخلِّفة، عامِيًا عن أنَّ التخلف إنما هو تخلُّفه هو فكرًا وذوقًا وفهمًا ووطنيَّة.

ولقدْ كتَب مؤلِّفنا روايتَه كلها بالفُصحى بما فيهـا الحـوار، الـذي بـدأ البكَّاشـون محاربـةَ الفصحى في الرِّوايات والقصص القصـيرة مِن خلال الـزعم بأنَّه ينبغي أن يكـونَ واقعيًّا فلا يُكْتَب من أجـل ذلـك إلا بالعاميَّة على اعتبـار أنَّ النـاس إنما يتحـدَّثون في حيـاتهم بالعاميَّة، وهم إنما يتَّخذون من هذه الخُطوة نقطةَ انطلاق يشـرعون بعـدَها في إهمـال الفُصحى في كلِّ جوانب العمل القصصي لا في الحوار فقط، ثم في كلِّ ميـادين الأدَب بما فيه الشِّعر ذاته في النهاية.

وفاتَهم أنَّنا في الأدب لا ننقُل الواقع كما هو، فهذه سبيلُ المصوِّرة الفوتوغرافيَّة وجهـاز التسجيل، بل يقوم عملنا على الإيهـام بـالواقِع، كمـا أنَّ هنـاك عوامـلَ حضـاريةً أُخـرى ينبغي أخْذُها في الحسبان، منها: حِرصـنا على أن يظـلَّ هنـاك بيْن العـرَب على اختلاف دُولهم ودِمائهم ذلك الرِّباط اللغوي والثقافي، ثم إنَّ أدبَنا كله طِـوال تاريخه كـان يُكتَب بالفصحى ما عدا الأزجال الأندلسيَّة تقريبًـا، ولم نسـمع أي شـكْوَى من أي أحـد بسـببِ ذلك لا مِن المثقَّفين أو العامَّة، ولا مِن الكبار أو الصِّغار.

وبالمناسبة فقدْ كان هذا هو الزاد الثقافي واللُّغوي الذي يتزوَّده الطفل والصبي العربي المسلم آنذاك فلا يشْكو ولا يتمرَّد، بل ينكبُّ على تحصيل ما بيْن يديه مِن كتبٍ، واضـعًا في اعتباره الوصولَ إلى أسـمقِ مـدًى ممكِن، بـل إنَّنـا - نحن المتعلمين - مـا زلنـا في العصر الحديث نقـرأ الأشـعار الجاهليـة مثلاً فلا نجـد غالبًـا فيهـا مـا نجِـده في الأزجـال الأندلسيَّة العامية من صُعوبة في فهم النصوص.

وقبل ذلك كلِّه هناك القرآن الكـريم، الـذي يحـرِص جميـعُ أعـدائنا، وفي ذَيلهم ببغاواتنـا المتخلِّفون رغم تشدُّقهم بالثقافة، والثقافة الحقَّة منهم براء، على إحـداث قطيعـةٍ بينـا وبينه - قطَع الله دابرهم، فإذا تابعناهم على مخطَّطهم الشـرير في اسـتبدال العاميـات بعربيَّة القرآن والحديث نكون كمَن يُمسك بخنجر يزوِّده به عدوُّه ناحرًا نفسـه كمـا أراد منه هذا العدو، فمؤلفنا إذًا قد فعل الشـيء الطـبيعي بلجوئِه في روايتـه سـردًا ووصـفًا وحوارًا إلى اللغـة الفُصـحى، وحِرْصـه على ألا ينحـطَّ إلى العاميـة، الـتي أشـبِّهها عـادةً بالمنامة (البيجاما)، وأشبِّه الفصحى بالبدلة: فالمنامـة للـبيت وغرفـة النـوم، أمَّا البدلـة فللحفلات الفخيمة والاجتماعات الراقية، ومَنْ مِنَ العقلاء يا تـرى يفكِّر في الاستعاضـة عن البدلة في مِثل تلك الحالة بملابس النوم والبيت؟!

وما دمتَ قد سألتني عن الفُصحى التي استعملها أ. عبـد الحميـد ضـحا، فلا منـاصَ من القـول بأنَّهـا فصـحى سـهلةٌ ليس فيهـا مـا يُحـوِج إلى الرجـوع إلى المعجم، وهـذا أمـر طبيعي، فالفن القصصي بوجـهٍ عـام لا يعـرِف التقعُّر اللُّغـوي، بـل لا يوجـد في العصـر الحالي مَن يتقعَّر في أسلوبه. لقد فات عصر المنفلوطي والـرافعي، وهمـا تقريبًـا آخِـر من كانوا يعملون على التزام جادَّة الفخامة المعجميَّة في أدائهم اللُّغوي، ومع هذا فقـد كنت، وأنا صبيٌّ في الخامسـة عشـرة، أقـرأ المنفلـوطي دون معانـاة، وإنْ لم أسـتطع تجاهلَ ما كان يُعينني على ذلك مِن الهـوامش اللُّغويـة الشـارحة الـتي كـان الناشـرون حريصين على تزويد النصِّ القصصي المنفلوطي بها، أمَّا الرافعي فليس المشكلة عندَه في المعجم اللُّغوي الصعْب بل في رغبته في الإبهار التصـويري المعقَّد - رحمـه اللـه - ولا ينبغي في هذا السياق أيضًا أن ننسَى أنَّ الأساليب الحديثـة قـد شـقَّتْ طريقهـا إلى تحقيقِ استقلالها وتأكيد شخصيتها، فأضـافتْ إلى الأسـاليب القديمـة باقـةً عبقريَّة ذات طعـومٍ طازَجة كأسـلوب العقـاد وأسـلوب المـازني وأسـلوب الزيَّات وأسـلوب الحكيم وأسلوب أحمد أمين وأسلوب محمد كرد على وأسلوب علي الطنطـاوي وأسـلوب طـه حسين وأسلوب سـيِّد قطب وأسـلوب نـزار قبـاني وأسـلوب مي زيـادة وأسـلوب بنت الشاطئ وأسلوب أحمد السباعي وأسلوب غازي القصيبي، وغيرهم كثير.

إلاَّ أنـني لاحظتُ - كمـا ذكـرتُ ذلـك للكـاتب على المحمـول - أنَّه أحيانًـا مـا يسـهو فيستخدم، لجمْع الإنـاث العـاقلات، ضـميرَ جمـع الـذكور العقلاء أو صـيغته الجمعيَّة في الأسماء والصفات، وهو قليل، لكن بما أنَّه شاعر؛ أي: أديب منذُ فترة وليس كاتبًا طارئًا أو واغلاً، لقدْ كان ينبغي ألاَّ يسمح لهذا السهو بـالوجود، ولكنَّه قـد أخـبرني أنَّه، قبـل أن يستمع إلى ملاحظـتي هـذه (وكأنَّه يريـد أن يقـول إنَّه لا فضل لي في تنبيهـه إلى هـذا. مش مهم!) قام بتصحيح هذا التقصير، فالحمد لله، الذي جرَّدني مِن هذه الفضيلة أيضًا، والمهم أن يتمَّ تصحيحُ هذه السهوات.

- **وماذا عن المساحة الزمنية والمكانية للرواية؟**

- تتحـرَّك الرِّوايـة في عـدَّة أمكِنـة بين مصـر والخـارج: ففي مصـرَ عنـدَنا مثلاً مجلس الشعب وبيوت بعض أبطال الرِّواية، أما في الخارج فهناك أحـدُ المـؤتمرات الـتي عَرَّنـا فيها الشيخ الأزعر كعادته القميئة (وهل سيشتريها من الدكَّان؟ إنها متأصِّلة فيـه!)، ربنا يَغُرّه دنيا وأخرى بمقدار ما عرَّنا وفضحَنا وأخزانا وأطمـع القـريب والبعيد ومَن يسـاوي ومَن لا يساوي فينا، وباعنا برُخص التراب، وكان في كلِّ ذلك يكذب ويـدلِّس ولا يخجـل أبدًا، مستعينًا "في التعامل معنا هنا" بالحذاء يجري بـه وراءَ مَن يسـوقه حظُّه التـاعِس إلى مقابلته والـذَّهاب إلى مكتبـه، حيث يتحـوَّل الثعلب المتمـاوت ذو الصـوت الخفيض المستكين إلى ضَبُع هائجٍ يرغي فمـه ويزبـد بـالمنتقَى من الشـتائم الريفيَّة الجلفـة، أمَّا "في التعامل معهم" هناك، فبالخنوع والخضوع ووضْـع العين في الأرض شـأن مَن على رأسه بطحة فاضحة قادِحة، وللأسف لم يعوِّض الله مصر خيرًا منه؛ إذ ما مِن شهاب إلا وهو... مِن أخيه، ولله الحمد مِن قبلُ ومن بعد.

وإن كنتُ أعود فأقول: ومِن أين يأتينا شيخ غير أزْعر إذا كان هـذا هـو مسـتوانا الخُلُقي والنَّفْسـي والعِلمي والسياسي بوجـهٍ عـام؟ هـل يمكن أن نحصُـل من الفسـيخ على شربات؟! إنَّ هذا ضـد طبيعة الحيـاة! فلنكُن رِجـالاً بحـقٍّ وحقيـق، ولنتغير بعـدَ الثـورة التغير المطلوب فنكون على مستوى هذه الثـورة العبقريَّة الـتي صـنَعها شـبَّان ورجـال

وفتيات ونسـاء وصـبيان وأطفـال كـأنَّهم قـد خُلِقـوا مِن عجينـة أخـرى غـير بقيَّة أفـراد الشعب، وعندئذٍ (وعندئذ فقط) سوف يهبنا الله شيخًا غير أزعر.

المهم أنَّ المساحة التي تتحـرَّك فيها الرِواية مسـاحةٌ واسـعة، وقـد أفـاد الروايـةَ تغيُّرُ الأماكن فيها إفـادةً كبـيرة؛ إذ أبـان لنـا كَمَّ النِّفـاق والبكش الـذي تحتـوى عليـه نفـوس الساسة ومَن يطرحون أنفسهم في ساحة العمل العام على أنَّهم مصلِحون، وما هم إلا مجموعة ساقِطة الخُلُق والدِّين والوطنيَّة والسـلوك، إلا أنَّ هـذا الانحطـاط لا يظهـر إلا حين يعود كلٌّ منهم إلى بيته ويخلَع عنه ثوبَ البكش والنفاق، وساعتها يظهر عاريًا على حقيقته.

و"ع الماشى" لا مانعَ من أن نُشير هنا مجرَّد إشارة إلى زعيم أحـدِ الأحـزاب "التقدميَّة إلى الخلـف" الـذي يعـرِف النـاسُ جميعًـا أنَّه كـان يقبض مِن موسـكو، ونشـرت ذلـك الصُّحُف في حينه، فهل تراه خجل مِن هذا أو توارَى عن الأنظار، أو حتى سلِم الشرفاء المخلِصون لدِينهم من لسانه الذي ينقط نجاسة وفحشًا؟ أبـدًا، في الـوقت الـذي يضَـع يده في يدِ الخنزير الأكْبر ويذهب إليه في مغارة اللصوص متعاونًـا معـه ضـدَّ دِينـه وربِّه ونبيِّه ومواطنيه المسلمين الذين يَنتمي إليهم بالاسم وشهادة الميلاد - أخزاه الله!

وفي الختام: نسأل اللهَ العليَّ القدير أن يبارِك في أسـتاذنا الـدكتور إبـراهيم عـوض، وأن يُعلي قـدرَه في الـدنيا والآخِـرة، وأن يبـارِك في وقتـه وعمـرِه على طاعـة اللـه ورسـوله، ونشـكُره على مـا منحَنـا من وقتـه مـع كـثرةِ انشـغالاته خصوصًـا في هـذه الأوقات.

كما نسأله سبحانه أن يبـارِك في أسـتاذنا الكـريم وشاعِرنا المفضـال م. أ. عبدالحميـد ضحا، وأن يجعل قلمه سيفًا مصـلتًا على رؤوس الضـالِّين أصـحاب كـل فِكـر منحـرف، الذين يُلَبِّسون على الناس دِينهم، ويزيِّفـون الحقـائق، وأن يجعـل هـذه الرِّوايـة بـاكورةً لسلسلة روايات تدحَض الباطل وتنصر الحق، في المجالات الفِكريَّة كافَّة.

ونشكُر لشبكة "الألوكة" وجميع القائمين عليها والعاملين فيها، وأن يجعلها منبرًا لصوت الحق والكلمة الطيِّبة الصادقة، إنَّه وليُّ ذلك والقادِر عليه.

وآخِر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

رابط الموضوع:
https://www.alukah.net/literature_language/0/33588/#ixzz6gq3Ej6bD